المختار من فرائد النقول والأخبار

القسم الثالث

اختيار وتعليق
محمد عوامة

دار البشائر الإسلامية

المختار
من
فرائد النقول والأخبار

الطّبعَةِ الثّانِيَة
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

دار البشائر الإسلاميّة
للطبَاعَة وَالنشر وَالتوزيع بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤-٥٩٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وليِّ كل نعمة وتوفيق، والصلاة والسلام على الهادي إلى أقوم طريق، وعلى الآل البرَرَة، والأصحاب الخِيَرة، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فهذه طاقةُ ريحانٍ ثالثةٌ من كتاب «من فرائد النقول والأخبار» أُقدِّمها تبعاً لسابقتَيْها، راجياً من الكريم الوهاب العون والتوفيق. إنه أكرم مسئول.

محمد عوّامة



من هدي القرآن الكريم

١

النفقة: أَجْرُها، وبعضُ آدابِها

﴿مَثَلُ الذين يُنْفِقُون أموالَهم في سبيلِ الله كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابلَ، في كلِّ سُنْبُلَةٍ مائةُ حَبَّةٍ، والله يُضاعِفُ لِمَن يَشَاءُ، والله واسعٌ عليمٌ.

الذين يُنفقونَ أموالَهم في سبيلِ الله، ثم لا يُتْبِعُون ما أنفقوا مَنّاً ولا أَذَىً[١]: لهم أَجْرُهُم عندَ ربِّهم، ولا خَوْفٌ عليهم ولا هُمْ يَحْزَنون.

(١) المَنُّ: هو إظهار المعروف إلى الناس والمنُّ عليهم به.
والأذى: هو أن يشكوَ منهم بسببِ ما أعطاهم.

قـولٌ معـروفٌ ومغفـرةٌ(١): خيـرٌ من صَـدَقـةٍ يَتْبعُها أذىً، والله غَنيٌّ حلِيم.

يا أيُّها الذين آمنوا لا تُبْطِلوا صَدَقـاتِكم بالمنِّ والأذى، كـالذي يُنْفِقُ مـالَـه رِئـاءَ(٢) النـاسِ ولا يُؤمنُ بـالله واليوم الآخـر، فَمَثَلُه كَمَثَلِ صَفْـوانٍ عليـه تُرابٌ، فـأصابـه وابِـلٌ فتـركـه صَلْداً(٣) لا يَقـدِرون على شيء مما كَسَبـوا، والله لا يَهْـدي القومَ الكافرين.

ومَثَلُ الذين يُنفقـون أموالَهُمُ ابْتغـاءَ مَرْضـاةِ الله وَتَثْبيتـاً من أنفسِهم كَمَثَـلِ جَنَّـةٍ بِـرَبْـوَةٍ(٤)

---

(١) أي: دعاءٌ للفقير بالخير، وسَتْرٌ عليه حـاجتَه وفقـرَه: خيرٌ من صدقة وأذى.

(٢) أي: رياء وسمعة.

(٣) الصَّفْوان: الحَجَر الأملس الصُّلْب. والوابل: المطرُ الشديـدُ العظيم القَطر. والصَّلْد: الأملس النقي من التراب.

(٤) الـربـوة: المكـان المـرتفـع، وَثَمـره أزكى من ثمـر الأرض المنخفضة.

أصابَها وابِلٌ فآتتْ أُكُلَها ضِعْفَيْنِ، فإنْ لم يُصِبْها وابلٌ فَطَلٌّ[1]، والله بما تَعْمَلون بصيرٌ﴾[2].

---

(١) الطَّلّ: هو المطر الخفيف الضعيف. أي: ومع كونِ المطرِ ضعيفاً فإن هذه الجنة آتت أُكُلَها ضِعفين.

(٢) من سورة البقرة: الآية ٢٦١ ـ ٢٦٥.

من هدي القرآن الكريم

٢

من أهم أوامر الله تعالى

﴿يا أَيُّها الذين آمنوا اتَّقوا الله حَقَّ تُقَاتِه، ولا تَمُوتُنَّ إلاّ وأنتم مسلمون. واعْتَصِموا بحَبْلِ الله[١] جميعاً، ولا تَفَرَّقوا، واذْكُروا نعمةَ الله عليكم إذْ كُنتم أعداءً فألَّفَ بين قُلُوبِكم، فأَصْبَحْتُم بنعمتِه إخواناً، وكُنتم على شَفَا[٢] حُفْرةٍ من النارِ فأَنْقَذَكم منها، كذلك يُبَيِّنُ الله لكم آياتِه لعلَّكم تَهْتَدون.

---

(١) هو القرآن الكريم.

(٢) أي: طرف. والمعنى: لولا أنْ يُنقذكم الله بالإسلام لكنتم في الآخرة من أهل النار.

وَلْتَكُنْ منكم أُمةٌ يَدْعُون إلى الخير، ويَأْمُرون بـالمعروفِ، ويَنْهَـوْن عن المنكـرِ، وأُولئـكَ هُمُ المُفْلِحون.

ولا تَكُونوا كالذين تَفَرَّقوا واخْتَلَفُـوا[1] مِن بعدِ ما جاءَهُمُ البيِّناتُ، وأولئكَ لهم عـذابٌ عظيمٌ. يومَ تَبْيَضُّ وجوهٌ وَتَسْوَدُّ وجوهٌ، فـأما الـذين اسْوَدَّتْ وُجُوههم: أَكَفَرْتُم بعدَ إيمانِكم! فذوقوا العـذابَ بما كنتمْ تَكْفُرون. وأما الذينَ ابْيَضَّتْ وُجُـوهُهُمْ ففي رحمةِ الله[2] هم فيها خالدون.

تلك آياتُ الله نَتْلُوها عليكَ بالحقِّ، ومـا الله يُريدُ ظُلْماً للعالمين﴾[3].

---

(١) تَفَرَّقوا بقلوبهم، واختلفوا في عقيدتهم.

(٢) المراد: محلُّ رحمة الله الرحمة الخالصة التي لا كدر فيهـا، وهي الجنة.

(٣) من سورة آل عمران: الآية ١٠٢ ـ ١٠٨.

من هدي القرآن الكريم

٣

من الأدب مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا تُقَدِّموا بين يَدَيِ الله ورسولِه[١]، واتقوا الله، إن الله سميعٌ عليمٌ.

يا أيُّها الذين آمنوا لا تَرْفَعُوا أصواتَكُمْ فوقَ صوتِ النبيِّ، ولا تَجْهَروا له بالقولِ كَجَهْرِ بعضِكم لبعضٍ، أنْ تَحْبَطَ أعمالُكم وأنتم لا تَشْعُرون. إن الذين يَغُضُّون أصواتَهم عندَ رسولِ الله أولئكَ الذين امْتَحَنَ الله قُلوبَهم

---

(١) أي: لا تقدِّموا اعتقاداً أو رأياً أو فعلاً أو قولاً أمام ما جاء عن الله ورسوله ﷺ، فَحَذَفَ المفعولَ به ليشملَ كلَّ ما ذُكِر وما لم يُذْكَر.

للتقوى[1] لهم مغفرةٌ وأجرٌ عظيمٌ.

إن الذين يُنَادُونكَ مِن وراءِ الحُجُراتِ أَكْثَرُهم لا يَعْقِلون. ولـو أنهم صَبَروا حتى تَخْـرجَ إليهم لكان خيراً لهم، والله غفورٌ رحيمٌ﴾[2].

---

(١) أي: امتَحَنَهـا واستَخْلَصها للتقـوى، كما يُمْتَحَنُ ويُسْتَخْلَص الذهبُ من التِّبْر بعَـرْضِهِ على النـار، وهذا ثناء عظيم من الله تعـالى على من تـأدَّب بهـذا الأدب: غضِّ الصـوت عنـد رسـول الله ﷺ، حيث وصف قلوبهم بـأنهـا قلوب خـالصـة للتقوى، وفيها خالص التقوى، ولولا ذلك لما صدر منهم هذا الأدب الرفيع.

(٢) أول سورة الحجرات.

من هَدْي النبي ﷺ
١

جماعةُ المسلمين ومسجدُهم

عن معاذِ بنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن الشيطانَ ذِئْبُ الإنسانِ، كذِئبِ الغَنَم، يأخذُ الشاةَ القاصيةَ والناحيةَ. فإياكم والشِّعابَ، وعليكم بالجماعةَ والعامةِ والمسجدِ»[1].

---

(١) القاصية: البعيدة عن رفيقاتها، والناحية: التي غَفَل عنها راعيها فبقيت في ناحيةٍ ومكان منعزل. والشِّعاب: الفرقة.

والمعنى العام للحديث:

أن الشيطان يؤذي الإنسان ويُهْلكه، كما أن الذئب الحيوانَ يُؤذي الشاة ويُهلكها، وكما أن الذئب يتربَّصُ بالشاة انفرادها عن القطيع ليفترسَها، كذلك الشيطان، يَجِدُ بُغْيَته عند الشاذّ =

. . . .

= المنعـزل عن جماعـة المسلمين بآرائـه وسلوكـه: «ولا تَتَّبِعُـوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بكم عن سبيله».

وفي الحديث بيانُ العلاج النافع لمن أراد السلامـةَ من شياطين الإنس والجن، وهـو لزومُ طـريقِ جمـاعـةِ المسلمين، ليسلمَ المسلمُ من انحراف الرأي والفهم، ولزومُ مسجدِهم ليسلَم له دينُه وسلوكُه.

والحديث رواه الإمام أحمد في «مسنده» ٥: ٢٣٢ ـ ٢٣٣.

من جوامع الدُّعاء المأثور

قال عبدُ الله بنُ عباسٍ رضي الله عنهما: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول ليلةً حينَ فَرغَ من صلاته - قيام الليل -:

اللهم إني أسألكَ رحمةً مِن عندك تَهدي بها قلبي، وتَجْمَعُ بها أَمري، وتَلُمُّ بها شَعَثي[١]، وتُصْلِحُ بها غائبي[٢]، وتَرْفَعُ بها شاهدي[٣]، وتُزَكِّي بها عَمَلي، وتُلْهِمُني بها

---

(١) وتجمع بها ما تفرَّق من أموري، وما تشتت من أحوالي.

(٢) أي: تصلح باطني بكمال الإيمان والأخلاق الحسان.

(٣) أي: تعزّ ظاهري بالعمل الصالح.

رُشْدي، وتَرُدُّ بها أُلْفتي، وتَعْصِمُني بها من كلِّ سوء.

اللهم أَعْطِني إيماناً ويقيناً ليس بعده كُفْرٌ، ورحمةً أنالُ بها شَرَفَ كرامتك في الدنيا والآخرة.

اللهم إني أسألك الفوزَ في القضاء[1]، ونُزُلَ الشُّهداء[2]، وعيشَ السُّعداء، والنصرَ على الأعداء.

اللهم إني أُنزِل بك حاجتي، فإنْ قَصُر رأيي، وضَعُفَ عَمَلي: افتقرتُ إلى رحمتك،

---

(١) حقيقة الفوز: ما كان فيه حصول على الخير المطلوب، وسلامة من كل مكروه، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عن النار وأُدْخلَ الجنةَ فقد فاز﴾. فهنا يسأل الله تعالى أن يقدِّر له كل خير محبوب بالدين، وأن يصرف عنه كل شر، فيكون حينئذ من الفائزين.

(٢) المراد: مقام الشهداء.

فأسألك يا قاضيَ الأمورِ، ويا شافيَ الصدورِ[1]، كما تُجِيرُ بين البُحُورِ[2]: أن تُجِيرَني من عـذاب السعيـــر، ومن دَعــوة الـثُّبــور[3]، ومـن فتنــةِ القبور[4].

اللهم مـا قَصُر عنـه رأيي، ولم تَبْلُغـه نِيَّتي، ولم تَبْلُغـه مسـألتي من خيـرٍ وعـدتَــه أحـداً من خَلْقـك، أو خيرٍ أنتَ مُعْـطِيه أحـداً من عبادك، فإني أرغبُ[5] إليك فيه، وأسألُكَـه برحمتـك ربَّ العالمين.

اللهم ذا الحَبْلِ الشديد[6]، والأمرِ الـرشيدِ،

---

(١) الصدور: القلوب التي في الصدور.

(٢) أي: كما تحجز وتمنع البحور من الاختلاط، كالبحر العذب والملح فلا يختلطان.

(٣) النداء بالهلاك.

(٤) سؤال الملكين.

(٥) الرغبة: الطلب بجدٍّ واجتهاد.

(٦) الحبل: القرآن أو الدين. والشديد: المستقيم.

أسألك الأمنَ يومَ الوعيدِ، والجنةَ يومَ الخلودِ، مع المُقَرَّبين الشهودِ، الرُّكَّع السجودِ، المُوْفِينَ بالعهود، إنك رحيمٌ ودودٌ[1]، وإنك تَفعلُ ما تُريد.

اللهم اجْعَلْنا هادين مُهْتَدين، غيرَ ضالِّين ولا مُضِلِّين، سِلْماً[2] لأوليائك، وعدواً لأعدائك، نُحبُّ بحبكَ مَن أحبَّك، ونُعادي بعداوتك مَنْ خالفك.

اللهم هذا الدعاءُ، وعليك الإجابةُ، وهذا الجُهْدُ[3] وعليك التُّكْلان.

اللهم اجعلْ لي نوراً في قلبي، ونوراً في قبري، ونوراً من بين يَدَيَّ، ونوراً من خلفي، ونوراً عن شمالي، ونوراً من فوقي، ونوراً من

---

(١) شديدُ الحبِّ لمن والاك.

(٢) أي: صُلحاً.

(٣) أي: الوُسْع.

تحتي، ونـوراً في سمعي، ونـوراً في بصـري، ونوراً في شَعَري، ونـوراً في بَشَري، ونـوراً في لحمي، ونوراً في دمي، ونوراً في عظامي.

اللهم أَعْظِم لي نوراً، وأَعْطِني نوراً، واجعلْ لي نوراً.

سبحان الذي تَعَطَّف العزَّ وقال به[1]، سبحان الذي لَبِسَ المَجْدَ[2] وتكرَّم به، سبحان الذي لا ينبغي التسبيـحُ إلا لـه، سبحـان ذي الفضـلِ والنِّعَم، سبحـان ذي المجـدِ والكـرم، سبحـان ذي الجلال والإكرام[3].

(١) تعطف به: تردَّى به. أي: اتصف بأنه يغلب كلَّ شيء ولا يغالبه شيء، وقال به: أي: مَلَك عبـادَه بالعـزِّ، يقال: قـال علينا فلان أي: مَلَك.

(٢) أي: ارتدى بالعظمة والكبرياء.

(٣) رواه التـرمذي ٩: ١١٩ في أبـواب الـدعـوات، بـاب ـ رقم ٣٠ ـ رقم الحـديث ٣٤١٥ وقـال: حـديث غـريب، ورواه غيره، قال المناوي في «التيسير» ١: ٢١١ ـ ووافقه العزيـزي ١: ٣٠٥ ـ: «في أسانيده مَقالٌ لكنها تعاضدت».

٣

من بركات سيدنا رسول الله ﷺ

عن ثَوْبانَ رضي الله عنه قال: نَـزَل بنا ضيفٌ بـدويٌّ[١]، فجلس رسول الله ﷺ أمـامَ بيـوتِـه، فجعــلَ يســألُــه عن النــاس: كيف فــرحُهم بالإسلام؟، وكيف حَدَبُهم على الصلاة؟[٢] فمـا زال يُخْبره من ذلك بالذي يَسُـرُّه حتى رأيتُ وجهَ رسولِ الله ﷺ نَضِراً[٣].

فلمـا انتصف النهـارُ، وحـانَ أكـلُ الـطعامِ

(١) من أهل البادية.

(٢) يريد: اهتمامهم وإقبالهم على الصلاة.

(٣) زاد حسنُه بسروره وابتهاجه.

دعاني مُسْتَخْفِياً لا يَأْلُو(١): أنِ ائتِ عائشةَ رضي الله عنها فأَخْبِرْها أن لرسول الله ﷺ ضيفاً. فقالت: والذي بعثه بالهُدَى ودينِ الحقِّ ما أَصبحَ في بيتي شيءٌ يأكلُه أحدٌ من الناس.

فردَّني إلى نسائه، كلُّهن يَعْتَذِرْنَ بما اعتذرتْ به عائشةُ رضي الله عنها.

فرأيتُ لونَ رسول الله ﷺ خَسَفَ(٢).

فقال البدويُّ: إنّا أهلَ الباديةِ مُعَانُون على زماننا، لَسْنا بأهلِ الحاضِرة، إنما يَكفي القُبْضةُ من التمر، يُشرَب عليها من اللبن أو من الماء، فذلك الخِصْبُ.

فَمَرَّتْ عند ذلك عَنْزٌ(٣) لنا قدِ احتُلِبتْ كنا

---

(١) يتكلَّف الخُفْية ولا يقصر في التكتم.

(٢) ذهب منه سروره.

(٣) العَنْز: مفرد، جمعه أعنز.

نسميها: ثمر. فدعاها رسول الله ﷺ باسمها: ثمر ثمر! فأقبلتْ إليه تُحَمْحِم، فأخذ بِرِجْلها: بسم الله، ثم اعتَقَلَها: بسم الله، ثم مَسَح سُرَّتها: بسم الله، فَحَطَّتْ، فدعاني بمِحْلَب، فأتيتُه به، فَحَلَب: بسم الله، فملأه، فدفعه إلى الضيف، فشرب منه شَربة ضَخْمة، ثم أراد أن يَضَعَه، فقال رسول الله ﷺ: «عُلَّ»[1]. ثم أراد أن يَضَعه فقال له: «عُلَّ». فكرَّره عليه، حتى امتلأ وشَرِب ما شاء. ثم حلب: بسم الله وملأه وقال:

«أَبْلِغْ[2] عائشةَ رضي الله عنها هذا».

فشربتْ منه ما بدا لها، ثم رَجَعتُ إليه فحلب فيه: بسم الله، ثم أَرْسَلَني به إلى

---

(١) أي: اشربْ ثانيةً.

(٢) أَوْصِلْه إليها.

نسائه، كلما شُرِب منه رددتُه إليه فحلب فيه: بسم الله، فملأه.

ثم قال: «ادفْعه إلى الضيف» فدفعته إليه، فقال: بسم الله، فشرب منه ما شاء الله، ثم أَعطاني، فلم آلُ[1] أنْ أَضَعَ شَفَتي على دَرَج[2] شفته، فشربتُ شراباً أحلى من العَسَل وأطيبَ من المِسْك.

ثم قال: «اللهم باركْ لأهلها فيها»[3].

---

(١) لم أقصر، بل بادرت.

(٢) يريد: موضع شفته ﷺ.

(٣) من «تاريخ واسط» لأسلم بن سهل الواسطي ص: ٦١ - ٦٢.

٤

مغفرةُ الله تعالى لمن خَشِيَ منه

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«كان رجلٌ يُسْرِفُ على نفسه[١]، فلما حَضَره الموتُ قال لبنيه: إذا أنا مُتُّ فأَحْرِقوني، ثم اطْحَنوني، ثم ذَرُّوني في الرِّيح فوالله لئنْ قَدَر الله عليَّ[٢] لَيُعَذِّبَنِّي عذاباً ما عذَّبه أحداً.

---

(١) أي: يُكثِر من ارتكاب الذنوب والخطايا.

(٢) قال هذا في حال دهشته وغلبة الخوف عليه، ولم يقله قاصداً لحقيقة معناه، بل في حالة كان فيها كالغافل والذاهل الذي لا يؤاخذ بما يصدر منه. كما في «فتح الباري».

فلما مات فُعِل به ذلك، فأمر الله الأرضَ فقال: اِجْمَعِي ما فيكِ منه، ففعَلَتْ فإذا هو قائمٌ، فقال ـ الله له ـ: ما حَمَلكَ على ما صنعتَ؟ قال: يا ربِّ خشيتُك. فغَفَرَ له»(١).

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» كتاب أحاديث بني إسرائيلَ تحت عنوان «باب» ٧ : ٣٣٢.

من سيرة الصحابة رضوان الله عليهم

١

خُبَيْبُ بن عَدِيٍّ الأنصاريُّ رضي الله عنه

قال أبو هريرةَ رضي الله عنه: بَعَثَ النبيُّ ﷺ سَرِيَّةً عَيْناً[١]، وأمَّر عليهم عاصمَ بنَ ثابت ـ وهو جَدُّ[٢] عاصم بن عمر بن الخطاب ـ فانطَلَقوا، حتى إذا كان بين عُسْفانَ ومكةَ ذُكِروا لحيٍّ من هُذَيل يقال لهم: لِحْيان، فتَبِعوهم بقريبٍ من

(١) السَّرِيَّة: جماعة من الجيش يتفاوت عددهم من خمسة إلى ثلاثمائة أو أربعمائة. وقوله «عيناً»: أي تستطلع الأخبار، كالجاسوس.

(٢) هكذا قال الراوي، والصواب: وهو خالٌ، لأن أمه جميلة بنت ثابت أخت عاصم بن ثابت، كما نبه إليه الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح».

مائةِ رامٍ ، فـاقتَصُّوا[1] آثـارَهم ، حتى أَتَوْا منـزلاً نَزَلوه، فوجدوا فيه نَوَى تمـرٍ تَزَوَّدوه من المـدينة فقالوا: هذا تمرُ يَثْرِبَ[2].

فتبعـوا آثـارَهم حتى لَحِقـوهم ، فلمـا انتهى عاصمٌ وأصحابُه لجأوا إلى فَدْفَدٍ[3]، وجاء القومُ فأحاطـوا بهم، فقالـوا: لكم العهدُ والميثـاقُ إنْ نزلتم إلينا أن لا نقتلَ منكم رجلاً.

فقال عاصم: أمّا أنا فلا أَنزلُ في ذِمةِ كافـرٍ، اللهم أَخْبِرْ عنا نبيَّك.

فقاتَلوهم حتى قَتَلوا عاصمـاً في سبعةِ[4] نَفَـرٍ بالنَّبْل.

---

(١) اقتصوا: تتبَّعوا آثارهم.

(٢) يثـرب: اسم للمدينـة المنورة قبـل هجرة النبي ﷺ، ثم نهي عنه.

(٣) الفدفد: الأرض الرابية المُشْرِفة.

(٤) في سبعة: مع سبعة آخرين.

وبقي خُبَيبٌ وزيدٌ ورجلٌ آخـرُ[1]، فأعـطَوْهم العهـدَ والميثاق، فلمـا أعطَوْهم العهـد والميثاق نـزلـوا إليهم، فلمـا اسْتَمْكَنـوا منهم حَلُّوا أوتـارَ قِسِيِّهم[2] فـربَطُوهم بهـا. فقال الـرجـل الثـالث الـذي معهمـا: هـذا أولُ الغَـدْرِ، فـأَبَى أن يصحبَهم، فَجَـرَّرُوه وعالَجـوه على أن يَصْحَبَهم فلم يفعلْ، فقتلوه.

وانطلقوا بخُبيب وزيد حتى باعـوهما بمكـة، فاشترى خبيباً بنو الحارثِ بنِ عامرِ بن نَوْفل، وكان خبيبٌ هـو قَتَـلَ الحـارثَ بنَ عـامـرٍ يـومَ بـدرٍ، فمكثَ عنـدهم أسيـراً، حتى إذا أَجْمَعـوا قَتْلَه استعـار مـوسى من بـعضِ بنـاتِ الـحـارثِ لِيَسْتَحِدَّ[3] بها، فأعارتْه.

(١) اسمه: عبد الله بن طارق.

(٢) القِسِيّ: جمع قوس، وهو معروف.

(٣) الاستحداد: حلقُ شعرٍ ما تحتَ السرة.

قالت: فغَفَلتُ عن صبيٍّ لي فَدَرَجَ إليه حتى أتاه، فوضعه على فَخِذه، فلما رأيتُه فَزِعتُ فَزْعةً عرفَ ذاك مني، وفي يده الموسى فقال: أتخشَيْنَ أنْ أقتلَه؟ ما كنتُ لأَفعلَ ذاكَ إن شاء الله تعالى.

وكانت تقول: ما رأيتُ أسيراً قطُّ خيراً من خُبيب، لقد رأيتُه يأكلُ من قِطْفِ عِنَبٍ، وما بمكةَ يومئذٍ ثَمرةٌ! وإنه لمُوْثَقٌ في الحديد، وما كان إلّا رِزقٌ رَزَقه الله!.

فخرجوا به من الحَرَم ليقتُلُوه، فقال: دَعُوني أُصَلِّ ركعتينِ. ثم انصرف إليهم فقال: لولا أن تَرَوْا أن ما بي جزعٌ من الموت لزِدتُ. فكان أولَ من سَنَّ الركعتينِ عند القتل هو. ثم قال: اللهم أَحْصِهم عَدَداً، ثم قال:

ولستُ أُبالي حين أُقتلُ مسلماً
على أيِّ شِقٍّ كانَ لله مَصْرَعي

وذلـكَ في ذاتِ الإلـهِ وإنْ يَشَـأْ
يُبَـارِكْ على أَوْصالِ شِلْوٍ مُمَـزَّعِ [١]

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله.

وبعثتْ قُـريش إلى عاصمٍ لِيُـؤْتَـوْا بشيء من جسـده يعرفـونه، وكـان عاصم قَتَـل عظيمـاً من عظمائهم يوم بدر[٢]، فبعث الله عليه مِثْل الـظُّلَّةِ من الـدَّبْر[٣] فحَمَتْـه من رُسُلهم فلم يقدِروا منـه على شيء[٤].

---

(١) الأوصـال: جمـع وِصْـل: وهـو العضـو. والشِّلْو: الجسـد. والممزَّع: المقطَّع. والمعنى: لو شاء الله عـز وجل أن يبـارك على أعضاء جسد يُقطَّع: لفعل وحفظها من ذلك.

(٢) هو: عقبة بن أبي معيط.

(٣) الزنابير. فكان يقال لعاصم: حَمِيُّ الـدَّبْر: أي: مَحْمِيٌّ بهـا ممنوع محفوظ.

(٤) رواه البخـاري في مـواضـع من «صحيحـه» منهـا: كتـاب المغازي باب غزوة الرَّجيع ٨: ٣٨١ من «فتح الباري».

٢

سعيدُ بنُ عامرٍ الجُمَحِيُّ
رضي الله عنه

قال خالدُ بنُ مَعْدانَ: استعمل[1] علينا عمرُ بن الخطاب بحمصَ سعيدَ بنَ عامرٍ الجُمحيَّ، فلما قدِم عمرُ حمصَ قال: يا أهلَ حمصَ كيف وجدتُم عامِلَكم؟.

فشكَوْه إليه قالوا: نشكو أربعاً:

ـ لا يَخرجُ إلينا حتى يَتعالَى النهارُ.

قال ـ عمر ـ: أَعظِمْ بها. وماذا؟.

قالوا: لا يُجيبُ أحداً بليل.

قال: وعظيمةٌ. وماذا؟.

(١) جعله عاملاً. أي: والياً أميراً.

قالوا: وله يومٌ في الشهر لا يخرجُ فيه إلينا.

قال: عظيمةٌ. وماذا؟.

قالوا: يَغْنِظُ الغَنْظَةَ بين الأيام[1].

فجمع عمر بينهم وبينه وقال: اللهم لا تُفَيِّل[2] رأيي فيه اليومَ.

ثم قال لهم أمامه: ما تَشْكُونَ منه؟.

قالوا: لا يَخرجُ إلينا حتى يَتَعالى النهار.

قال ـ عمر ـ: ما تقول؟.

قال سعيد: والله إنْ كنتُ لأكرهُ ذِكْره: ليس لأهلي خادِمٌ، فأعجِنُ عجيني ثم أجلسُ حتى يَخْتمرَ، ثم أَخبِز خُبزي، ثم أتوضأ، ثم أخرج إليهم.

فقال ـ عمر ـ: ما تَشْكُون منه؟.

---

(١) أي: يصيبه في كل حين وآخر كربٌ شديد يُجهده حتى يشرفَ منه على الموت.

(٢) لا تخيِّب.

قالوا: لا يُجِيب أحداً بليل.

قال ـ عمر ـ: ما تقول؟.

قال سعيد: إنْ كنتُ لأكره ذِكره: إني جعلتُ النهارَ لهم، وجعلتُ الليل لله عز وجل.

قال عمر: وما تَشْكون؟.

قالوا: إن لـه يومـاً في الشهر لا يَخـرج إلينا فيـه.

قال عمر: ما تقول؟.

قـال سعيد: ليس لي خـادمٌ يغسِلُ ثيـابي ولا لي ثيـابٌ أُبـدِّلهـا، فـأجلسُ حتى تَجِفَّ، ثم أَدلُكَها، ثم أخرجَ إليهم من آخرِ النهار.

قال عمر: ما تشكون منه؟.

قالوا: يَغْنِظُ الغَنْظَةَ بين الأيام.

قال عمر: ما تقول؟.

قال سعيد: شهـدتُ مصرعَ خُبيبِ بنِ عـدي الأنصـاريِّ بمكة وقـد بَضَّعتْ[1] قريشٌ لحمَـه ثم

---

(١) بَضَّعتْ: قطَّعتْ.

حَمَلوه على جِذْعة، فقالوا: أَتُحِبُّ أن محمداً مكانَك؟

فقال: والله ما أُحِبُّ أني في أهلي وبلدي وأن محمداً ﷺ شِيْكَ بشَوكة! ثم نادى: يا محمد!.

فما ذكرتُ ذلك اليومَ وتَرْكي نُصْرتَه في تلك الحال وأنا مشرك لا أُومن بالله العظيم إلّا ظننتُ أن الله عز وجل لا يَغْفِر لي بذلك الذنبِ أبداً، فتُصيبُني تلك الغَنْظَةُ.

فقال عمر: الحمد لله الذي لم يُفَيِّل فِراستي[1].

فبعث إليه بألف دينار وقال:

استعِنْ بها على أمرك.

فقالت امرأته: الحمد لله الذي أغنانا عن خِدمتكَ.

فقال لها: فهل لكِ في خير من ذلك؟

---

(١) الفراسة: الظن المصيب المتحقِّق.

ندفعُها إلى مَن يأتينا بها أحوجَ ما نكون إليها.

قالت: نعم.

فدعا رجلاً من أهل بيته يَثِقُ به، فَصَرَّها صُرَراً ثم قال: اِنطلِقْ بهذه إلى أرملةِ آلِ فلانٍ، وإلى يتيمِ آل فلانٍ، وإلى مسكينِ آل فلان، وإلى مُبتلَى آلِ فلان.

فبقيتْ منها ذَهَبة[1] فقال: أَنفقي هذه. ثم عاد إلى عمله.

فقالت: ألا تَشتري لنا خادماً.

قال: سيأتيكِ أحوج ما تكونين![2].

---

(١) قطعة ذهبية واحدة. أي: دينار واحد.

(٢) يريد: في يوم القيامة. والقصة في «حلية الأولياء» ١: ٢٤٥ - ٢٤٦ لأبي نُعَيم الأَصفهاني.

١

فضيلة نشر العلم

دَخَلَ الإمامُ عبدُ الله بنُ وَهْبٍ المِصْريُّ مدينةَ الإسكندرية مُرابِطاً[1]، فاجتمع الناسُ عليه يسألونه نَشْرَ العلم، فقال: هذا بلدُ عبادة. . . وأقبل على العبادة والحِراسة.

وبعد يومين أتاه إنسان فأخبره أنه رأى نفسه في مسجدٍ عظيمٍ نحوِ المسجد الحرام، والنبيُّ ﷺ فيه، وأبو بكرٍ عن يمينه وعمرُ عن شِماله،

(١) المرابط: هو من لازم الإقامة في الثُّغور، والثغور هي البلاد التي تسمى في عرفنا اليوم (الحدود) بين الدولة المسلمة والدولة الكافرة. وأجر المرابطة كأجر الجهاد في سبيل الله.

وأنتَ بين يَـدَيْه، وفي المسجـد قنـاديـلُ تَـزْهَـرُ أحسنَ شيء وأشـدَّهـا ضيـاءً، إذْ خَفَـتَ منهـا قِنْديلٌ، فانطفأ، فقال لك رسول الله ﷺ: قُمْ يـا عبد الله أَوْقِدْه. فأوقدتَه. ثم آخَرُ كذلك.

ثم أقمتُ أياماً فرأيتُ القناديل كلَّها همَّتْ أنْ تَطْفَأَ! فقال أبو بكر: يا رسـول الله أما تَـرَى هذه القناديلَ! فقـال ﷺ: هذا عمـلُ عبد الله، يـريد يُطْفِئُها!.

فبكى ابن وهب. قـال لـه الـرجـل: جئتُ لأبشِّرك، ولو علمتُ أنه يَغُمُّك لم آتِـكَ. فقال ـ ابن وهب ـ: خيـر. هـذه الـرؤيـا وُعِـظَتْ بهـا نفسي، ظننتُ أن العبادة أفضلُ من نشر العلم.

فتـركَ كثيـراً من عمله للعلم، وحَبَس نفسَـه لهم يقرأون عليه ويسألونه[1].

---

(١) الخبر من «ترتيب المدارك» ٢: ٤٢٦ للقاضي عياض رحمه الله.

اجتهاد الأئمة في البحث

قال المُزَنيُّ ـ أو الربيع ـ:

كنا يوماً عند الشافعي بين الظهر والعصر، عند الصحن في الصفَّة، والشافعيُّ قد استندَ، إما قال: إلى الأُسْطُوانة، وإما قال: إلى غيرها، إذْ جاء شيخٌ عليه جُبَّةُ صُوفٍ، وعمامةُ صوفٍ وإزارُ صوف، وفي يده عُكَّازُه، قال: فقام الشافعيُّ وسوَّى عليه ثيابَه، واستوى جالساً، قال: وسلَّم الشيخُ وجَلَس، وأخذَ الشافعيُّ ينظر إلى الشيخ هيبةً له.

إذْ قال له الشيخ : أسأل؟ .

قال الشافعي : سَلْ .

قال : أَيْشٍ الحجةُ في دين الله؟ .

فقال الشافعيُّ : كتابُ الله .

قال : وماذا؟ .

قال : وسُنَّة رسول الله ﷺ .

قال : وماذا؟ .

قال : اتفاقُ الأمة .

قال ـ الشيخ ـ : ومنْ أينَ قلتَ اتفاقُ الأمة؟ .

قال ـ الشافعيُّ ـ : من كتاب الله .

قال : مِن أين في كتاب الله؟ .

قال : فتدبَّرَ الشافعيُّ ساعةً .

فقال الشيخ : قد أجَّلْتُك ثلاثة أيـام وليالَيهـا ، فإنْ جئتَ بحجةٍ من كتـاب في الاتفاق ، وإلا تُبْ إلى الله عز وجل .

قال : فتغيَّر لونُ الشافعيِّ . ثم إنه ذهب ، فلم

يخرجْ ثلاثةَ أيام ولياليَهنَّ.

قال: فخرج علينا في اليوم الثالث في ذلك الوقت، يعني بين الظهر والعصر، وقد انتفخَ وَجْهُه ويداه ورجلاه، وهو مِسْقامٌ[1]، فجلسَ، قال: فلم يكنْ بأسرعَ مِنْ أنْ جاء الشيخ، فسلَّم وجلسَ، فقال: حاجتي!.

فقال الشافعيُّ: نعم، أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، قال الله عز وجل: ﴿ومَنْ يُشَاقِقِ الرسولَ مِنْ بعدِ ما تبيَّن له الهُدَى وَيَتَّبعْ غيرَ سَبيلِ المؤمنينَ نُوَلِّه ما تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جهنَّمَ وَسَاءَتْ مَصيراً﴾: لا يُصْلِيه على خلافِ المؤمنين إلا وهو فرضٌ.

فقال: صدقتَ، وقام وذهب.

قال المُزَنيُّ ـ أو الربيع ـ: قال الشافعي: لما

---

(١) ممتلىء سَقَماً ومَرَضاً.

ذهب الـرجل قـرأتُ القرآنَ في كـلِّ يـومٍ وليلةٍ ثلاثَ مراتٍ حتى وَقَفْتُ عليه[1].

---

(١) من «طبقـات الشافعيـة الكبرى» ٢ : ٢٤٣ للسبْكي، تـرجمـة محمـد بن عُقَيل الفِـرْيابي. وقـال آخـر القصـة: «سنـد هـذه الحكاية صحيح لا غبار عليه».

٣

أثر اللقمة الحلال وسواها

كان الإمام أبو محمد الجُوَيني قد اكتسب من عمل يده مالاً خالصاً من الشُّبهة، تزوَّجَ به، فلما وُلد له ـ ولَده الذي عُرِف فيما بعد بإمام الحرمين ـ حَرَص على أن لا يُطْعمَه ما فيه شُبْهة، فلم يمازج باطنَه إلا الحلالُ الخالصُ.

حتى يُحكى أن ـ إمام الحرمين ـ تلجْلج[1] مرةً في مجلسِ مناظرةٍ، فقيل له:

---

(١) تلجلج: تردد في الكلام.

يا إمام ما هذا الذي لم يُعْهَد منك؟!.

فقال: ما أَراها إلا آثارُ بقايا المَصَّة.

قيل وما نَبَأُ هذه المصّة؟.

قال: إنَّ أُمي اشْتَغَلَتْ في طعامٍ تَطْبُخُه لأبي، وأنا رضيعٌ، فبكيتُ، وكان عندنا جاريةٌ مُرْضعةٌ لجيراننا، فأَرْضَعَتْني مَصَّة أو مَصَّتين، ودخل والدي فأنكرَ ذلك وقال:

هذه الجارية ليست مِلْكاً لنا، وليس لها أن تتصرَّف في لَبَنها، وأصحابُها لم يأذَنوا في ذلك!.

وقَلَبني وفوَّعَني[1] حتى لم يَدَعْ في باطني شيئاً إلا أخرجه، وهذه اللَّجْلَجة من بقايا تلك الآثار[2].

---

(١) هكذا في المصدر المنقول عنه، ولم يتبين لي معناها، ولعلها محرَّفة عن: فرَّغني، بقرينة تتمة الكلام.

(٢) من «الطبقات الكبرى» للسُّبْكي ٥: ١٦٨.

الإمام البخاري

- ١ -

قال حاشد بن إسماعيل: كان أبو عبد الله محمدُ بنُ إسماعيلَ - البخاريُّ - يختلِف معنا إلى مشايخ البصرة - وهو غلامٌ - فلا يَكْتبُ، حتى أَتَى على ذلك أيامٌ، وكنا نقولُ له:

إنك تَخْتلِف معنا ولا تكتبُ، فما معناك فيما تصنع؟(١). فقال لنا بعد سِتَّةَ عَشَرَ يوماً:

إنكما قد أكثرتُما عليَّ وأَلْحَحْتُما، فاعْرِضا عليَّ ما كتبتُما، فأخرجْنا ما كان عندنا، فزاد على

---

(١) تختلف معنا: تتردد معنا وتذهب إلى العلماء. ومعناك: قَصْدُك.

خمسةَ عَشَرَ ألفَ حديثٍ، فقرأها كلَّها عن ظهـر قلب، حتى جَعَلْـنا نُحْكِمُ كُتُبَنا على حفظه. ثم قال:

أَتَرَوْنَ أني أختلفُ هَذْراً[1] وأُضيِّعُ أيامي؟!.

فعرفنا أنه لا يتقدَّمه أحد[2].

---

(١) أتردد إلى علماء الحديث عَبَثاً وباطلاً.

(٢) من «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي ٢: ١٤ ـ ١٥.

محاسبةُ الإمام البخاري نفسَه

- ٢ -

قال محمد بن أبي حاتم وَرَّاقُ البخاري:

رأيتُ البخاريَّ استلقَى، ونحن بِفِـرَبْـرَ في تصنيفِ كتابِ التفسيرِ، وكـانَ أَتعبَ نفسَـه في ذلـك اليـوم في التخـريـج، فقلت لـه: إني سمعتُـك تقول: مـا أتيتُ شيئاً بغيـر علم، فمـا الفائدةُ في الاستلقاء؟.

قال: أتعبتُ نفسي اليومَ، وهذا ثَغْرٌ، خشيتُ أن يَحْـدُثَ حَدَثٌ من أمـر العـدوِّ، فـأحببتُ أن

أستريحَ وآخُذَ أُهْبَةً، فإنْ غافَصَنا العدوُّ كان بنا حَرَاك[1].

---

(١) من «مقدمة فتح الباري» ٢ : ٢٥٢. وغافصنا: فاجأَنا.
وفي القصة من الفوائد: محاسبةُ الإمام البخاري نفسَه على كلِّ حركة وسكنة أن تكون بنيَّةٍ صالحة وعلى وَفْق العلم الشرعي، ولاحِظْ كيف أن وَرَّاقَه يراقبُه حتى أمسكَ عليه هذه الحركة التي ظنَّ أن البخاري ليس له فيها قصد شرعي ونيةٌ صالحة، فأمكن من نفسه، وتمكَّنَ من مؤاخذته! وإذا به لا يظفرُ بشيء مما ظنَّ، وأن الإمام البخاريَّ فوق ذلك بكثير، فما يتحرك حركةً إلا بنية له فيها عَظيمُ الأجر، حتى الاستلقاء!! فرحمه الله ورضي عنه، ووفقنا للاقتداء به.

الإمام البخاري
الرامي الماهر الورع

-٣-

قال محمد بن أبي حاتم ورَّاق البخاري:

كـان أبو عبـدالله البخاري يـركب إلى الرمي كثيراً، فما أعلم أني رأيتُـه في طولِ مـا صحبتُه أخطأَ سهمُه الهـدفَ إلا مرتين، بـل كان يصيب في ذلك ولا يُسبَق.

وركبنـا يـومـاً إلى الـرمي، ونحن بـفـرَبْـرَ، فخـرجنا إلى الـدَّرب الـذي يؤدِّي الفُـرْضَـة[1]،

---

(١) كأنه يريـد فُرْضـة نهر هنـاك؟ وفرضـة النهر: طَـرَفه وحَـرْفـه المفتوح.

فجعلنا نرمي، فأصاب سهمُ أبي عبدالله وَتِدَ[1] القَنْطرة التي على النَّهر، فانشقَّ الوَتِد، فلما رأى ذلك نزل عن دابته فأخرج السهم من الوتد، وترك الرميَ وقال لنا: ارجِعوا، فرجعْنا، فقال لي: يا أبا جعفر لي إليك حاجة، وهو يتنفَّسُ الصُّعَداء[2]. فقلت: نعم. قال: تذهب إلى صاحبِ القنطرةِ فتقولُ: إنا أخللنا بالوتد، فنحبُّ أن تأذنَ لنا في إقامة بَدَلِه، أو تأخذَ ثمنَه وتجعلَنا في حِلٍّ مما كان منا. وكان صاحب القنطرة حميد بن الأخضر.

فقال لي: أبلغْ أبا عبدالله ـ البخاريَّ ـ

---

(١) الوتَدِ: بكسر التاء وفتحها وسكونها: قطعة خشبية قوية يكون عليها ثِقَل الخيمة والقنطرة وما شابه ذلك.

(٢) تَنَفُّسُ الصعَداء: هو التنفُّس الطويل، وكان ذلك منه لما حصل في الوتد من تصدُّعٍ بسبب رميه، وحصولِ خللٍ في مصلحة عامة للمارَّة على قنطرة النهر.

السلامَ وقل لـه: أنت في حِلّ ممـا كان منـك، فإن جميع ملكي لك الفداء.

فأبلغْتُه الرسالـة، فتهلَّل وجهه وأظهـر سروراً كثيـراً، وقـرأ ذلـك اليـوم للغـربـاء خمسمـائـة حديث، وتصدَّق بثلاثمائة درهم[1].

---

(١) المصدر السابق.

١

أبو زُرْعة الرازي

١ ـ رَوَى ابنُ عساكرٍ في «تاريخ دمشق» عن أبي العباس المُرادي قال: رأيتُ أبا زُرْعَة في النوم فقلت:

ـ ما فَعَلَ الله بك؟.

قال: لقيتُ ربي فقال لي: يا أبا زُرْعة إني أُوتَى بالطِّفل فآمرُ به إلى الجنة، فكيف بمن حَفِظ السُّنَنَ على عبادي؟! تَبَوَّأْ من الجنة حيثُ شئتَ[١].

٢ ـ وَرَوَى أيضاً عن حفص بن عبد الله

(١) من مقدمة «كنز العمال» للمتَّقي الهندي ١: ١١.

قال: رأيتُ أبا زرعـةَ في النوم بعـد موتـه يصلي في سماء الدنيا بالملائكة، قلت:

ـبمَ نِلْتَ هذا؟.

قـال: كتبتُ بيـدي ألفَ ألفِ حـديثٍ أقـولُ فيهـا: عن النبي ﷺ، وقد قـال النبي ﷺ: «من صلَّى عليّ صلاةً صلى الله عليه عشراً»[1].

---

(١) المصدر السابق نفسـه. والحديث رواه مسلم وغيـره عن أبي هريرة.

٢

سيِّدُ أهلِ الحديث

قـال أبـو نصـرٍ الـواعظ: رأيت النبيَّ ﷺ في المنـام مع أصحـابه قـاصداً لعيـادة الأُستـاذ أبي سهـل ـ محمـد بن سليمـان الصُّعْلوكي ـ وكـان مريضاً، قال ـ أبو نصر ـ: فَتَبِعْتُه، ودخلتُ عليـه معه، وقعدتُ بين يدي النبي ﷺ متفكِّراً، فقلت في نفسي ـ:

إن هذا ـ أبا سهل ـ إمامُ أصحـابِ الحديث، وإنْ مات أخشى أن يقع الخللُ فيهم!.

فقال رسول الله ﷺ لي: لا تُفَكِّـر في ذلك،

إن الله لا يُضَيِّع عِصابةً[1] أنا سَيِّدُها![2].

---

(١) العِصابة: الجماعة من الرجال ما بين العشرة إلى الأربعين.

(٢) من «طبقات الشافعية» للتاج السُّبْكي ٣: ١٧٠.

١

الإمام الحسن بن سُفيانَ النَّسَوي

من غريب ما اتفق له: أنه كـان هو وجمـاعةٌ من أصحـابه بمصـرَ في رحلتهم إلى الحـديث، فضاق عليهم الحال[1] حتى مكثـوا ثلاثـةَ أيام لا يـأكلون فيهـا شيئـاً، ولا يَجِـدون مـا يبيعـونـه لِلْقُـوت، فـاضْـطَرَّهُمُ الـحـالُ إلى تَـجَشُّـمِ السؤال[2]، وأَنِفَتْ أنفسهم من ذلـك، وعَـزَّت عليهم وامتنعـتْ كـلَّ الامتنـاعِ، والحـاجـةُ

(١) أي: ضاقت عليهم النفقة، وواضحٌ من السياق أنها نَفِدت.

(٢) التَّجَشُّم: تَكَلُّف الشيء مع المشقَّة.

تَضطُّرهم إلى تعاطي ذلك، فاقتَرَعوا[1] فيما بينهم: أيُّهم يقومُ بأعباءِ هذا الأمرِ، فوقعت القُرْعةُ على الحسنِ بنِ سفيانَ هذا.

فقام عنهم، فاخْتَلى في زاوية المسجد الذي هم فيه، فصلَّى ركعتين أطال فيهما، واستغاث بالله عز وجل، وسأله بأسمائه العِظام، فما انصرف من الصلاة حتى دخل المسجدَ شابٌّ حسنُ الهيئة مليحُ الوجه فقال:

- أين الحسنُ بنُ سفيان؟.

فقلت: أنا.

فقال: الأميرُ طُوْلُونُ يقرأُ عليكم السلامَ ويعتذِرُ إليكم في تقصيره عنكم، وهذه مائةُ دينار لكل واحد منكم.

فقلنا له: ما الحاملُ له على ذلك؟.

---

(١) أي: ضربوا بينهم القُرْعة.

فقال: إنه أحبَّ أن يختليَ اليوم بنفسه، فبينما هو الآن نائمٌ إذْ جاءه فارسٌ في الهواء بيده رمحٌ فدخل عليه منزلَه، ووضع عَقِبَ الرُّمح في خاصرته فوَكَزَه، وقال:

قمْ فأدرِكِ الحسنَ بنَ سفيانَ وأصحابَه، قمْ فأدركْهم، قم فأدركهم، فإنهم منذ ثلاثٍ جِياعٌ في المسجد الفلاني.

فقال له: مَن أنت؟.

فقال: أنا رِضوانُ خازنُ الجنة.

فاستيقظ الأمير وخاصرتُه تُؤْلِمه ألماً شديداً.

فبعث بالنفقة في الحال إليكم.

ثم جاء لزيارتهم واشترى ما حولَ ذلك المسجد وَوَقَفَه على الواردين عليه من أهل الحديث. جزاه الله خيراً[١].

---

(١) من «البداية والنهاية» لابن كثير ١١: ١٢٤، ثم رأيتُ القصة في «سِيَر أعلام النبلاء» للذهبي ١٤: ١٦١ وتوقَّف في صحتها، ثم لم يجزم شيء.

٢

الحافظ ابن عساكر الدمشقي

قال الحافظُ أبو عبد الله الفَرَاوي: قَدِمَ ابنُ عساكر - مدينةَ نيسابورَ - فقرأ عليَّ ثلاثةَ أيام، فأكثرَ وأَضْجَرَني، فآليتُ[1] على نفسي أنْ أُغلِقَ بابي.

فلما أصبحنا قَدِم عليَّ شخصٌ فقال:

أنا رسولُ رسولِ الله ﷺ إليك.

قلت: مرحباً بك.

فقال: قال لي في النوم: اِمْضِ إلى الفَرَاوي

---

(١) أقسمت وحلفت.

وقلْ له: قَـدِم بلدَكم رجلٌ شـامي أسمرُ اللون، يطلبُ حديثي، فلا تَمَلَّ منه.

فـوالله مـا كـان الفَـراويُّ يقــومُ ـ من مجلس الحديث ـ حتى يقومَ الحافظُ ـ ابن عساكر ـ[1].

---

(١) من «تذكرة الحفاظ» للذهبي ص: ١٣٣.

من أخلاقهم

١

الدين النصيحة

١ - أرسل أبو عبد الله جَريرُ بنُ عبد الله البَجَلي رضي الله عنه خادماً له ليشتريَ له فَرَساً، فاشترى له فَرَساً بثلاثمائة درهمٍ، وجاء بالفرس وبصاحبه إلى جرير لِيَنْقُدَه الثمنَ، فقال جريرٌ لصاحب الفرس:

فَرَسُك خيرٌ من ثلاثمائة درهم، أَتَبيعُه بأربعمائة درهم؟.

قال: ذاكَ إليك يا أبا عبد الله.

فقال - جرير -: فَرَسُك خيرٌ من ذلك، أَتبيعُه بخمسمائة درهم؟.

ثم لم يَـزَلْ يزيـدُه مـائـةً فمـائـةً، وصـاحبُـه يَرْضَى، وجريرٌ يقول: فرسك خيـرٌ، إلى أنْ بَلَغ ثمـانَمائـةِ درهمٍ ، فـاشتـراه بهـا، فقيـل لـه في ذلك؟[1] فقال:

إني بـايعتُ رسولَ الله ﷺ على النُّصْـح لكلِّ مسلم[2].

٢ ـ جاءت امرأة إلى يونسَ بنِ عُبَيد ـ وكـان يبيعُ الخَزَّ ـ بجُبَّةِ خَزٍّ، فقال لها: بكمْ هي؟.

قالت: بخمسِمائة ـ درهم ـ.

قال: هي خيرٌ من ذاك.

قالت: بستِّمائة.

قال: هي خيرٌ من ذلك.

فلم يزل يُدرِّجُها حتى بَلَغتْ ألفاً[3].

---

(١) أي: سئل عن سبب ذلك؟.

(٢) من «شرح مسلم» للنووي ٢ : ٤٠ .

(٣) من «تذكرة الحفاظ» ص: ١٤٥ .

٢

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان

قال الإمام القاضي أبو بكر محمد بن عبدالباقي الأنصاري رحمه الله:

كنتُ مجاوراً بمكةَ حَرَسها الله تعالى، فأصابني يوماً من الأيام جوعٌ شديد لم أجدْ شيئاً أدفعُ به عني الجوعَ، فوجدتُ كيساً من إبْرِيْسَم[١] مشدوداً بشُرَّابة من إبْريسَمٍ أيضاً، فأخذتُه وجئتُ به إلى بيتي، فَحَلَلْتُه فوجدتُ فيه عِقْداً من لؤلؤ لم أرَ مثلَه. فخرجتُ فإذا الشيخُ ينادي عليه، ومعه خِرْقةٌ فيها خمسمائة

---

(١) هو الحرير.

دينـار وهـو يقـول: هـذا لمن يـردُّ علينـا الكيس الذي فيه اللؤلؤ.

فقلت ـ في نفسي ـ: أنا محتاجٌ، وأنا جائعٌ، فآخذُ هذا الذهبَ فأنتفعُ به، وأردُّ عليه الكيس.

فقلت له: تعالَ إليَّ، فـأَخَذْتُـه وجئتُ به إلى بيتي، فأَعطاني علامةَ الكيس، وعلامةَ الشُّرَّابة، وعلامةَ اللؤلؤ وعَدَدَه، والخيطَ الذي هـو مشدودٌ به، فأخرجته ودفعتُـه إليه فسلَّم إليَّ الخمسمـائة دينـــار، فمـا أخـــذتُهـا، وقلتُ: يجبُ عليَّ أن أُعيدَه إليك ولا آخذَ له جزاءً.

فقال لي: لا بدَّ أنْ تأخذ، وألـحَّ عليَّ كثيراً، فلم أَقْبَلْ ذلك منه، فَتَركني ومَضَى.

وأمـا مـا كـان مني: فـإني خـرجتُ من مكـةَ وركبتُ البحرَ، فانكسر المركبُ، وغَرِق الناسُ، وهَلَكتْ أمـوالُهم، وسَلِمتُ أنـا على قـطعـةٍ من المـركب، فبقيتُ مـدةً في البحـر لا أدري أين

أذهب، فوصلتُ إلى جزيـرة فيها قـومٌ، فقعدت في بعض المسـاجد، فسمعـوني أقـرأ، فلم يَبْقَ في تلك الجزيرة أحدٌ إلا جاء إليَّ وقال: علِّمْني القرآنَ. فَحَصَلَ لي من أولئك القوم شيءٌ كثيـر من المال.

قال: ثم إني رأيت في ذلك المسجـد أوراقاً من مُصْحف، فـأخذتُهـا أقرأُ فيهـا، فقالـوا لي: تُحسنُ تكتبُ؟ فقلت: نعم. فقـالـوا: علِّمنـا الخطَّ، فجاؤوا بأولادهم من الصبيان والشباب، فكنتُ أُعَلِّمهم، فحصل لي أيضاً من ذلك شيءٌ كثير.

فقالوا لي بعد ذلك: عندنا صبِّيةٌ يتيمةٌ، ولها شيءٌ من الدنيا نريدُ أن تتـزوَّجَ بها، فـامتنعتُ، فقالوا: لا بدَّ وأَلزموني، فأجبتُهم إلى ذلك.

فلمـا زَفُّوهـا إليّ مـددتُ عيني انـظرُ إليهـا،

فوجدتُ ذلك العِقْدَ بعينه معلَّقاً في عُنُقها، فما كان لي حينئذ شُغْلٌ إلا النظرُ إليه، فقالوا: يا شيخُ كَسَرْتَ قلبَ هذه اليتيمةِ من نظرك إلى هذا العقدِ ولم تنظُرْ إليها!!. فَقَصَصْتُ عليهم قصةَ العِقْد، فصاحوا وصَرَخوا بالتهليل والتكبير، حتى بلغ إلى جميعِ أهلِ الجزيرة!.

فقلت: ما بكم؟. فقالوا: ذلك الشيخُ الذي أخذ منك العِقْدَ أبو هذه الصبيَّة، وكان يقولُ: ما وَجدتُ في الدنيا مسلماً إلا هذا الذي ردَّ عليَّ هذا العِقْد، وكان يدعو ويقول: اللهم اجمعْ بيني وبينه حتى أُزوِّجَه بابنتي. والآن قد حصلت.

فبقيت معها مدةً، ورُزقتُ منها بولَدَيْن، ثم إنها ماتَتْ فورثتُ العقدَ أنا وولداي، ثم مات الوَلَدان فحصل العِقْدُ لي، فبعتُه بمائة ألفِ

دينـار، وهذا المـالُ الذي تَـرَوْنَه معي من بقَـايَا ذلك المال[1].

---

(١) من «ذيل طبقات الحنابلة» ١ : ١٩٦ لابن رجب الحنبلي.

أبو جعفر المنصور أمام القاضي

قال نُمَيرٌ المدنيُّ:

قَـدِم علينا أميـرُ المؤمنين المنصورُ المـدينةَ، ومحمـدُ بنُ عِمْرانَ الـطَّلْحيُّ على قضائـه، وأنـا كاتبُه. فاسْتَعْدَى[1] الحمَّالون على أمير المؤمنين في شيءٍ ذَكَـروه، فأَمَـرَني أنْ أكتبَ إليـه كتـابـاً بالحضورِ معهم، أو إنصافِهم.

فقلتُ: تُعْفِيني من هذا، فإنه يَعرفُ خطِّي!.

فقـال: اكتُبْ. فكتبتُ، ثم خَتَمـه وقـال: لا يمضي به ـ والله ـ غيرُكَ.

---

(١) اشتكى عليه.

فمضيتُ إلى الربيع، وجعلتُ أعتذِرُ إليه.
فقال: لا بأسَ عليك، فدخل عليه بالكتاب، ثم خرج الربيع فقال للناس ـ وقد حَضر وجوهُ أهلِ المدينة والأشرافُ وغيرُهم ـ:

إن أمير المؤمنين يقرأُ عليكم السلامَ ويقولُ لكم: إني قد دُعيتُ إلى مجلس الحكم فلا أعلمنَّ أحداً[1] قام إليَّ إذا خرجتُ وبدأني بالسلام.

ثم خرج[2] والمسيَّب بين يديه، والربيعُ وأنا خَلْفَه، وهو في إزارٍ ورداءٍ، فسلَّم على الناس، فما قام إليه أحدٌ، ثم مضى، حتى بدأ بالقبر فسلَّم على رسول الله ﷺ، ثم التفتَ إلى الربيع فقال:

---

(١) لا أرى أحداً.

(٢) وتوجَّه إلى المسجد النبوي الشريف حيث مجلسُ القضاء والحكم.

يـا ربيـعُ ، وَيْحـكَ[1] أخشى إنْ رآني ابنُ عمران تدخلُ قلبَه هيبـةٌ، فيتحوَّلَ عن مجلسـه، وبالله لئنْ فَعَل لا وُلِّيَ لي وِلايةً أبداً.

فلما رآه ـ وكان متَّكئاً ـ أطلق رداءَه عن عاتقه ثم احْتَبَى[2] به، ودعا بـالخصوم الحمَّـالين، ثم دعـا بـأميـر المؤمنين، ثم ادَّعى عليـه القـومُ، فقضى لهم عليه.

فلمـا دخل ـ أبـو جعفر ـ الـدار قال للربيـع: اذهبْ، فـإذا قام وخـرج مَنْ عنده من الخصـوم فادْعُه. فقال: يا أمير المؤمنين ما دعـاك إلا بعد أن فَـرَغَ من أمرِ النـاسِ جميعاً. فـدعاه، فلمـا دخل عليه سلَّم، فقـال ـ أبو جعفـر للقاضي ـ:

---

(١) ويحك: كلمة ترحُّم. أما ويلك: فكلمة هلاك.

(٢) أي: نصب ركبتيـه وأدار إزاره من وراء ظهـره إلى ركبتيـه وعَقَده عليهما، ليستـريح في جِلْستـه، كالمستنـد إلى جدار. وهذه جِلْسة مَن لم يتكلَّف أمام جليسه.

جـزاك الله عـن دِينـك، وعـن نبيِّـك، وعـن حَسَبـك[1]، وعن خليفتـك أحسنَ الجـزاءِ، قـد أمرتُ لك بعَشَرة آلافِ دينارٍ، فاقْبِضْها.

فكـانت عامـةُ أمـوالِ محمـدِ بنِ عمـرانَ مِن تلك الصِّلَة[2].

---

(١) الحَسَب هنا: المفاخر من جهة آبـاء الرجـل، والقاضي هـذا منسوب إلى طلحةَ بنِ عبيد الله أحدِ الصحابة الأجـلاء العشرة المبشرين بالجنة.

(٢) الصِّلَة: الهـديـة. والقصـة من «الجليس الصـالـح الكـافي، والأنيس النـاصح الشـافي» للمُعَافَى بن زكـريا النَّهْـرواني ٢ : ٢٨.

١

عاقبة المعاصي والعُصاة

قال أبو محمدٍ ـ ابنُ قُتَيْبَةَ ـ: وحدَّثني رجلٌ من أصحاب الأخبار أن ـ أبا جعفرٍ ـ المنصورَ سَمَرَ ذاتَ ليلةٍ، فَذَكَرَ خُلَفاء بني أمية وسِيرتَهم، وأنهم لم يزالوا على استقامةٍ حتى أَفْضَى أمرُهم إلى أبنائهم المُتْرَفين[1]، فكان همُّهم مِن عظيمِ شأنِ الملك وجلالة قَدْره قصدَ الشهواتِ، وإيثارَ اللذاتِ، والدخولَ في معاصي الله عز وجل ومَسَاخِطِه، جهلاً منهم باستدراجِ الله تعالى،

---

(١) في «القاموس المحيط»: «أتْرَفَتْه النِّعمة: أطْغَتْه».

وأمناً مِنْ مَكْرِه تعالى، فَسَلَبَهم الله تعالى الملكَ والعزَّ، ونَقَلَ عنهم النعمة.

فقال صالح بن علي لأبي جعفر: يا أمير المؤمنين إن عبد الله[1] بن مروان لما دَخَل أرضَ النُّوبة هارباً فيمن اتَّبَعه، سأل ملكُ النُّوبة عنهم، فأُخبر، فركب إلى عبد الله فكلَّمه بكلام عجيب في هذا النَّحْو لا أحفظُه، وأَزْعَجَه[2] عن بلده، فإنْ رأى أميرُ المؤمنين أَنْ يدعوَ به من الحبس بحضرتنا في هذه الليلة ويسأَله عن ذلك.

فأمر المنصورُ بإحضاره، وسأله عن القِصة.

---

(١) هو الصواب. وفي «تأويل مختلف الحديث»: «عبيد الله» وهو تحريف، فإن عبيدالله قُتل، وعبدالله نجا من القتل. انظر «الكامل» لابن الأثير ٥: ٤٢٧،

(٢) أي: أخرجه.

فقال: يا أمير المؤمنين قَدِمتُ أرضَ النُّوبة بأثاثٍ سَلِم لي فافترشْتُه بها وأقمتُ ثلاثاً، فأتاني ملكُ النُّوبة ـ وقد خَبَر أمرَنا ـ فَدَخَل عليَّ رجلٌ طُوالٌ، أَقنى[1]، حسنُ الوجه، فقعد على الأرض ولم يَقْرَب الثياب.

فقلت: ما يمنعُك أن تقعُد على ثيابنا؟.

فقال: إني ملِكٌ، وحَقٌّ على كلِّ ملكٍ أنْ يَتَواضع لعظمة الله جلَّ وعزَّ إذْ رَفَعَه الله!.

ثم أقبل عليَّ فقال لي: لِمَ تَشْربون الخُمور، وهي مُحَرَّمة عليكم في كتابكم؟.

فقلت: اجْتَرأَ على ذلك عبيدُنا وسُفَهاؤنا.

قال: فلمَ تَطؤون الزُّروع بدوابِّكم، والفسادُ محرَّم عليكم في كتابكم؟.

قلت: يفعلُ ذلك جُهَّالُنا.

---

(١) مرتفِع أعلى الأنف مع احديدابِ وسطِه.

قـال: فلمَ تَلْبَســون الـدِّيبـاجَ والحـريـرَ وتَسْتَعملون الـذهب والفِضَّـة، وهـو مـحـرَّم عليكم؟.

فقلت: زال عنـا المُلْك، وقلَّ أنصـارُنـا، فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكُرْه منا.

فأطرقَ مَلِيّاً[1]، وجَعَلَ يقلِّب يـده ويَنكُتُ في الأرض، ثم قـال: ليس ذلك كمـا ذكرتَـه، بـل أنتم قـوم اسْتَحْلَلْتم ما حُـرِّم عليكم، وركبتم ما عنـه نُهِيتم، وظَلَمتم فيمـا مَلَكْتم، فَسَلَبَكم الله العزَّ، وألبسكم الذُّلَّ بذنوبكم، ولله تعالى فيكم نِقمـةٌ لم تَبْلُغْ نهـايتَهـا، وأخـافُ أن يَحِـلَّ بكم العـذابُ وأنتم ببلدي، فَيُصيبَني معكم، وإنمـا

---

(١) مدة طويلة.

الضيافةُ ثلاثٌ، فَتَزَوَّدوا ما احْتَجْتُم إليه، وارتحِلوا عن بلدي.

ففعلتُ ذلك[1].

(١) من «تأويل مختلف الحديث» ص: ٣١٩ و«عيون الأخبار» ١: ٢٠٥ كلاهما لابن قتيبة، و«سراج الملوك» للطُّرْطُوشي ص: ١١٢.

من عِبَر التاريخ

٢

حوار بين عالم وأمير

قال الضَّحَّاكُ بنُ مُوسى: مرَّ سليمانُ بنُ عبدِ الملك بالمدينة ـ المنورة ـ وهو يريدُ مكةَ، فأقام بها أياماً، فقال:

هل بالمدينة أحدٌ أدرك أحداً من أصحابِ النبيِّ ﷺ؟.

فقالوا له: أبو حازم ـ سَلَمةُ بنُ دينارٍ المخزوميُّ ـ.

فأرسل إليه، فلما دَخَل عليه قال له ـ سليمان ـ:

يا أبا حازمٍ ما هذا الجَفاءُ؟.

قـال أبو حـازم: يا أميـر المؤمنين وأيَّ جَفَـاءٍ رأيتَ مني؟.

قال: أتاني وجوهُ أهلِ المدينة ولم تأتني!.

قال: يا أمير المؤمنين أُعيذُك بالله أنْ تقولَ ما لم يكن! مـا عـرفتَني قبـلَ هـذا اليـوم، ولا أنـا رأيتُك!.

فــالتفت سليمــانُ إلى محمــد بنِ شهــابٍ الزُّهريِّ فقال:

ـأصاب الشيخ وأخطأتُ.

قـال سليمـان: يـا أبـا حــازم مـا لَنـا نكـرهُ الموتَ؟.

قال: لأنكم أَخْرَبْتُم الآخـرةَ وعَمَرتُم الـدنيا، فكرهتم أن تنتقلوا من العُمران إلى الخراب.

قال: أصبتَ، فكيف القدومُ غداً على الله؟.

قـال: أمـا المُحْسِنُ فكـالغـائب يَقـدَم على أهله، وأما المسيءُ فكالآبِق يقدَم على مولاه.

فبكى سليمان، وقال:

ليتَ شِعْري! ما لَنا عند الله؟.

قال: اعرِضْ عَمَلَك على كتاب الله.

قال: وأيَّ مكان أجدُه.

قال: «إن الأبرار لَفي نَعيم، وإن الفُجَّار لَفي جَحيم».

قال سليمان: فأين رحمةُ الله يا أبا حازم؟.

قال أبو حازم: رحمةُ الله قريبٌ من المحسنين.

قال سليمان: فما تقولُ فيما نحن فيه؟.

قال: يا أمير المؤمنين أوَ تُعفيني؟.

قال له سليمان: لا، ولكنْ نصيحةٌ تُلْقيها إليّ.

قال: يا أمير المؤمنين إن آباءَك قَهَروا الناسَ بالسيف، وأَخَذوا هذا المُلْك عَنْوةً[1] على غير

(١) قهراً وغصباً.

مَشُـوْرَة من المسلمين ولا رضا لهم، حتى قَتَلوا منهم مَقْتلة عـظيمـة، فقـد ارتَحلوا عنهـا، فلو شَعَرتَ ما قالوه وما قيل لهم!.

فقال له رجـلٌ من جُلَسائـه: بِئْسَ ما قلتَ يـا أبا حازم!.

قـال أبو حـازم: كذبتَ! إن الله أَخَـذَ ميثـاقَ العلماء لَيُبَيِّنُنَّهُ للناس ولا يَكْتُمونه!.

قـال له سليمـان: هل لـكَ يا أبـا حـازمٍ أن تَصْحَبَنا فتُصيبَ منا ونُصِيبَ منك[1].

قال: أَعوذُ بالله!.

قال له سليمان: ولِمَ ذاك؟.

قــال: أخشى أن أَرْكَنَ إليكم شيئاً قليــلاً، فَيُذِيقَني الله ضِعْفَ الحياةِ وضِعْفَ المَماتِ!.

قال ـ سليمان ـ: فادْعُ لي.

---

(١) أي: تستفيد منا ونستفيد منك.

قال أبو حـازم: اللهم إن كان سليمـانُ وليَّك فيسِّرْه لخير الدنيا والآخرة، وإن كان عدوَّك فَخُذْ بناصيته إلى ما تحبُّ وترضى.

قال له سليمان: قَطْ؟.

قال أبو حـازم: قد أوجـزتُ وأكثرتُ إن كنتَ من أهله، وإن لم تكنْ من أهله فمـا ينفعُني أن أرميَ عن قوسٍ ليس لها وَتَر[1].

فلمـا خرج أبـو حازمٍ من عنـد سليمانَ بعث إليـه بمـائـةِ دينـارٍ وكتب إليـه: أنْ أَنفِقْهـا ولـك عندي مثلُها كثير، فردَّها عليه وكتب إليه:

---

(١) كناية عن أنه دعاء عبث لا فائدة فيه. وذلك أن السهم يُـرمَى عن القوس إذا كان للقوس وَتَر يُشَدُّ عليه السهم شَدّاً قوياً، ثم يتـرك سريعـاً، فيدفـع الوتـرُ السهـمَ دفعاً بمقـدار شدِّه، فينفُـذُ السهم عن القوس نفاذ الريح. فإذا لم يكن للقوس وترٌ يَدفـعُ السهمَ عنها لينفذ: فلا فائدة، بل ولا رماية! وهذا ما يريده أبو حازم.

يا أمير المؤمنين أُعيذُك بالله أن يكون سؤالُك إياي هَزلاً، أو رَدِّي عليك بذلاً، وما أرضاها لك، فكيف أرضاها لنفسي.

وكتب إليه أيضاً:

إنْ كانت هذه المائة دينار عوضاً لما حدّثتُ: فالمَيْتةُ والدمُ ولحمُ الخِنْزير في حال الاضطرار أحلُّ من هذه[1]، وإنْ كانت لحقٍّ في بيت المال: فلي فيها نُظَراءُ، فإن ساويتَ بيننا، وإلا فليس لي فيها حاجة[2].

---

(١) لأن نُصحَ أبي حازم يكون حينئذ من قبيل: بيع الدين بالدنيا، ولا أقبح من ذلك.

(٢) من «سنن الدارمي» ١: ١٥٥ ـ ١٥٨ باختصار شديد.

٣

وقايةُ الله أَغْنَتْ

قال محمدُ بنُ يزيدَ الأنصاري:

بعثني عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ حين وُلِّي، فأَخرجتُ مَن في السُّجون مِن حَبْس سليمان، ما خلا يزيدَ بنَ أبي مسلم، فنَذَر - يزيدُ - دمي[1]..

فلما مات - عمر بن عبد العزيز - ولّاه يزيد بن عبد الملك إفْرِيقيَّة وأنا بها، فأُخِذتُ، فأُتي بي في شهر رمضان عند الليل، وفي يدِ يزيدَ بنِ أبي مسلم عُنقودُ (عنبٍ) فقال:

---

(١) أي: أهدر دمي.

ـ محمدُ بنُ يزيد؟ .

قلت: نعم.

قـال: الحمد لله الـذي أمكن منك بـلا عَهْد ولا عَقْد[1]، فطالما سألتُ الله أنْ يُمَكِّنني منك.

قلت: وأنا طالما سألتُ الله أن يُعيذَني منك.

قـال: فوالله مـا أعاذك الله مني، والله لـو أن مَلَك المـوتِ سـابَقني إليـك لسَبَقْتُه. (والله لا أكلتُ هذه الحبةَ حتى أقتلَك).

وأُقيمت ـ صلاة المغرب (فوضع يزيدُ العُنقودَ وتقـدَّم ليصلِّي) فصلَّى ركعـةً، فثـار بـه الجُنْـد فقتلوه، وقـالـوا ـ لمحمـدبن يـزيـد ـ: خـذ أيَّ الطريقِ شئتَ[2].

---

(١) يريد: أنـه تمكَّن من قتله دون اتفاق مـع آخرين على تيسيـر الوصول إلى قتله، ودون محاولة منه للوصول إلى ذلـك، إنما هو شيءٌ كان يتمنّاه فحصل عليه.

(٢) الخبر في «تاريـخ خليفة بن خيـاط» ٢ : ٤٧١ ـ ٤٧٢، و «سراج الملوك» للطرطوشي، وما بين الهلالين من زياداته.

نداءُ الكريمِ عبادَه

١

قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه:

ما مِنْ ليلةٍ اختلط ظلامُها، وأَرْخَى الليلُ سِرْبالَ سِتْرها[١] إلا نادى الجليلُ جلَّ جلاله:

مَنْ أَعْظَمُ مني جُوداً، والخلائقُ لي عاصون، وأنا لهم مراقبٌ، أَكْلَؤُهم في مضاجعهم كأنهم لم يَعْصُوني، وأَتَوَلَّى حفظَهم كأنهم لم يُذْنبوا فيما بيني وبينهم، أجودُ بالفضل على العاصي، وأتفضَّلُ على المسيء.

---

(١) السربال: القميص. يريد: استكمال ظلام الليل وشموله الأشياء بالظلمة، وإحاطته بها، كما يشمل القميصُ لابسَه.

مَنْ ذا الذي دعاني فلم أسمعْ إليه؟.
أو مَنْ ذا الذي سألني فلم أُعْطِه؟.
أو مَنْ ذا الذي أَناخَ ببابي ونَحَّيْتُه؟.
أنا المُفْضِلُ، ومني الفضل. أنا الجَوَاد ومني الجود. أنا الكريم ومني الكرم.
ومِنْ كرمي أن أَغْفِرَ للعاصي بعد المعاصي.
ومن كرمي أن أُعطيَ التائبَ كأنه لم يَعْصِني.
فأين عني تَهْرُبُ الخلائق؟ وأين عن بابي يَتَنَحَّى العاصون[1].

(١) الخبر في «حلية الأولياء» ٨: ٩٢ ـ ٩٣، ونقله الحافظ ابن رجب رحمه الله في «جامع العلوم والحكم» ص ١٩٩ ـ ٢٠٠.

نداء الكريم عباده

٢

في بعض الإسرائيليات:

يقول الله عز وجل: أَيُؤَمَّلُ غيري للشدائد والشدائدُ بيدي، وأنا الحيُّ القَيُّوم؟! ويُرْجَى غيري ويُطْرَقُ بابُه بالبُكُرات[١] وبيدي مفاتيح الخزائن وبابي مفتوحٌ لمن دعاني؟!.

من ذا الذي أَمَّلني لنائبة فَقَطَعْتُ به؟! أو مَن ذا الذي رَجَاني لعظيم فقطعتُ به؟!. أو من ذا الذي طَرَق بابي فلم أفْتَحْه له؟!.

أنا غايةُ الآمالِ، فكيف تنقطع الآمال

---

(١) البكرات: جمع بُكْرة، وهي أول النهار. والمراد: أن السائلين يسألونه من أول النهار مبكِّرين.

دوني؟! أبخيلٌ أنا فيبخِّلَني[1] عبدي؟! أليس الدنيا والآخرة والكرم والفضل كلُّه لي، فما يمنعُ المؤمِّلين أن يؤمِّلوني؟!.

لو جَمَعْتُ أهلَ السموات والأرض ثم أعطيتُ كلَّ واحد منهم ما أعطيتُ الجميعَ، وبلَّغْتُ كلَّ واحدٍ منهم أَمَلَه، لم يَنْقُصْ ذلك من مُلْكي عضوُ ذرَّة، كيف يَنْقُص مُلْكٌ أنا قَيِّمُه[2]؟!.

فيا بُؤْساً للقانطين من رحمتي[3]! ويا بُؤْساً لمن عَصَاني وَتَوثَّب على محارمي[4]!.

---

(١) بَخَّلَه: نسبه إلى البخل، وليس ببخيل.

(٢) القيِّم: القائم بالأمر، فهو تعالى قائم بأمور خلقه مدبِّر لها مالك لها، وجودُها واستمرار وجودها بالله تعالى، فكيف يَنقص ملك هو خالقه ومدبِّره.

(٣) البؤس: العذاب، وألوانه، ومنها: الذل والفقر. والقانط: اليائس.

(٤) توثب: تجرَّأ. والنقل من «جامع العلوم والحكم» ص ٢٠١.

نصائح

١

لماذا لا يُستجاب دعاؤنا

قيـل لإبراهيمَ بنِ أدهمَ: مـا بالُنـا نـدعـو فلا يُستجابُ لنا، وقد قال تعالى: ﴿أُدْعُوني أَسْتَجِبْ لكم﴾؟.

قال: لأن قلوبَكم ميتةٌ.

قيل: وما الذي أماتَها؟.

قال: ثمانِ خصالٍ:

١ ـ عَرَفْتم حقَّ الله ولم تقوموا بحقِّه.

٢ ـ وقرأتُمُ القرآنَ ولم تَعْمَلوا بحدوده.

٣ ـ وقلتم: نحبُّ رسولَ الله ﷺ، ولم تَعْمَلوا بسنته.

٤ ـ وقلتم: نخشى المــوتَ، ولم تَسْتَعِـدّوا له.

٥ ـ وقــال تعالى: ﴿إنَّ الشيـطانَ لكم عَـدُوٌّ فاتَّخِذوه عَدُوّاً﴾ فواطأْتُمُوه على المعاصي.

٦ ـ وقلتم: نخـافُ النار، وأَرْهَقْتُم أبـدانَكُم فيها[1].

٧ ـ وقلتم: نحبُّ الجنةَ، ولم تعملوا لها.

٨ ـ وإذا قمتم مِن فُــرُشكم رَمَيْتم عيــوبَكم وراءَ ظُهُوركم، وافْتَرَشْتم عيوبَ الناس أمامَكم، فأسْخَطْتم ربَّكم، فكيف يَستجيبُ لكم؟![2].

---

(١) أسرعتم بأنفسكم إلى ما فيه عذابها وتعبها.

(٢) من «إحياء علوم الدين» للإمام الغـزالي ٣: ٣٣ كتاب شـرح عجائب القلب: بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب.

١

القاضي إياس بن معاوية المُزَني

جاء رجلان إلى إياس بن معاوية يَخْتصمان في قَطيفتَيْن[١]، إحداهما حَمراءُ، والأخرى خضراء، فقال أحدُهما: دخلتُ الحوضَ لأغتسلَ، ووضعتُ قَطيفتي، وجاء فوضع قَطيفتَه تحت قَطيفتي، ثم دخلَ فاغتسلَ، فخرج قَبْلي، فأخذَ قَطيفتي فمضى بها، ثم خَرجتُ فَتَبِعْتُه، فزعَمَ أنها قطيفتُه.

---

(١) القطيفة: قال في «القاموس»: «دِثَارٌ مُخَمَّلٌ». وتفسيره: قطعة من المخمل توضع فوق الثياب والظاهر أنها توضع على المنكبين وما يليهما من الصدر والظهر.

فقال ـ له إياس ـ: ألك بيِّنةٌ؟.

قال: لا.

قال ـ إياس ـ: ائتوني بمُشْط.

فأُتيَ بمُشْط، فَسَرَّح رأسَ هذا، ورأسَ هذا، فخرج من رأسِ أحدِهما صوفٌ أحمرُ، ومن رأس الآخر صوفٌ أخضرُ، فَقَضَى بالحمراء للذي خَرَج من رأسه الصوفُ الأحمر، وبالخضراء للذي خرج من رأسه الصوف الأخضر[1].

---

(١) من «تهذيب الكمال» للحافظ المِزّي ٣: ٤٢٤ ـ ٤٢٥.

٢

ابن سِنَان الخَفَاجي

كان صاحب حلب محمود بن نصر المِرْداسيُّ ولَّى الشاعرَ ابنَ سنانٍ الخَفَاجيَّ على عَزاز ـ التابعة لحلب ـ فاستعصى الخفاجيُّ بقَلْعتها، فأمر محمودُ بنُ نصر ابنَ النحاس أن يكتبَ إلى الخَفَاجي كتاباً يستعطِفُه ويُؤْنِسُه وقال: لا يؤمِّنُ إلا إليك، ولا يَثِقُ إلا بك، وكان بين الخفاجي وابن النحاس مودَّةٌ أكيدة.

فكتب ابنُ النحاس إليه كتاباً، ولما فَرَغَ منه وكتب «إنْ شاء الله تعالى» شدَّد النون من «إنْ» ـ فصارت: إنَّ ـ فلما قرأه الخفاجيُّ خَرَج من

عَزَازَ قاصداً حلبَ، فلما كان في الطريق أعاد النظرَ في الكتاب، فلما رأى التشديدَ على النون أمسك رأسَ فرسِه، وفكَّر في نفسه، وأن ابن النحاس لم يكتب هذا عَبَثاً، فَلاَحَ[1] أنه أراد: ﴿إنَّ الملأَ يَأْتَمِرون بكَ ليقتُلوك﴾!.

فعاد إلى عَزَاز، وكتب الجواب: أَنا الخادمُ المعترِفُ بإنعام...، وكسر الألف من «أنا» وشدَّد النون وفتحها ـ فصارت: إنَّا ـ.

فلما وقف ابن النحاس على ذلك سُرَّ، وعلم أنه قَصَد به ﴿إنَّا لنْ ندخُلَها أبداً ما داموا فيها﴾ وكتب الجواب يستصوبُ رأيَه[2].

---

(١) فظهر.

(٢) من «إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء» ٤ : ٢٠١ للعلامة الشيخ محمد راغب الطباخ رحمه الله تعالى، وانظره عن ولاية محمود بن نصر ووفاته ١ : ٣٣٨، ٣٤١.

١

الخط والكتابة

مما قيل في الخطِّ: القلمُ أحدُ اللسانين، وقيل لنصر بن سيار: فلان لا يخطُّ! قال: تلك الزَّمانة الخفية[1]. وقال ابن التوأم: خطُّ القلمِ يقولُ بكل مكان، وفي كل زمان، ويترجِمُ إلى كل إنسان، ولفظ الإنسان لا يُجاوزُ الآذان، ولا يعمُّ الناسَ بالبيان.

وقيل: الخطُّ لسانُ اليد، وهو أفضلُ أجزاء اليد.

---

(١) هي العاهة التي لا تظهر آثارها على المصاب بها، وذلك لأنها ليست بمرض حقيقي.

وقال إسماعيل: عقولُ الـرجال تحتَ أسنـان أقلامها.

وقـال جعفـر بن يحيى - البَـرْمَكي -: الخطُّ سِمْط الحِكَم[1]، به تُفصَّل شُـذورها[2]، ويُنْـظَم منثورها[3].

وقـال بشـر بن المعتمـر: القلب معـدِن[4]، والعقـل جـوهـر، واللسـان مستَنْبِط[5]، والقلم صائغ، والخطُّ صيغته.

وقـال مَسْلَمة بن الـوليـد: الخطُّ هـو المقيِّـدُ

---

(١) السمط: الخيط ينـظم بـه حبـات العقـد أو السُّبْحـة - مثـلاً - فالحِكَم كقِطَع اللؤلؤ تنظم بالخيط.

(٢) قِطَعُها الذهبية.

(٣) أي: يجمع الخط الحكم المنثورة المتفـرقة خـوفاً عليهـا من الضياع والنسيان، فتقيَّد بالكتابة.

(٤) المعدِن: مَنبِت الجواهر من ذهب ونحوه.

(٥) أي: مستخرِجٌ للجواهر من معدنها.

للبـاقين حِكَمَ المـاضين، والمخــاطِبُ للعيـون بسرائر القلوب[1].

---

(١) الخط يعبــر عمـا في القلب، فيكتبــه على الصحف فتقـرأه العيون، والنقل من كتاب «ألف باء» للبَلَوِيّ: ١: ٧٨.

نصائح ومواعظ

١ ـ قال عمر بن عبد العزيز: مَن تَعَبَّد بغير علمٍ كان ما يُفسدُ أكثرَ مما يُصْلِح، ومن عَدَّ كلامَه مِن عمله قلَّ كلامُه إلا فيما يَعْنيه، ومن جَعَل دِينَه غَرَضاً[1] للخصومة كَثُرَ تَنَقُّله[2].

---

(١) هَدَفاً. يريد: من تقصَّد الجدال والمخاصمةَ في مسائل الدين وأحكامه واستهدف ذلك: كثر تنقُّله من رأي إلى آخر، فهو يَرَى هذا الرأيَ اليوم، بحجة الاطلاع على الدليل، وينتقل عنه إلى غيره في الغد، بوسوسة العلم والمعرفة واتباع الحق، وحرية الرأي والفكر.

(٢) من «سنن الدارمي» ١: ٩١.

٢ ـ وقال ابنُ شِهابٍ الزُّهريُّ: ما عُبِدَ الله بشيء أفضلَ من العلم[١].

٣ ـ وقال الإمام أبو حنيفة: لو لم يكنْ مِن صفةِ الدُّنيا إلاّ أن الحقَّ يُعْصَى فيها: لكفى في بُغْضها[٢].

٤ ـ وقال أبو سعيد الخرّاز: إذا بكتْ أعينُ الخائفين فقد كاتَبُوا الله بدموعهم[٣].

٥ ـ وقال أبو بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري: من خَدَم المَحَابِر خَدَمَتْه المنابر[٤].

---

(١) من «تذكرة الحفاظ» ص: ١١٢.

(٢) من «الكواكب الدُّرِّية للمُنَاوي ١ : ١٧٦.

(٣) من «الكواكب الدرية» أيضاً ١ : ١٩١.

(٤) من «ذيل طبقات الحنابلة» ١ : ١٩٤.

مَن عاشَرَ العلماء يُكْرَم

رأيتُ الطِّين في الحمَّام يوماً
بكَفِّ الحِبِّ أَثَّرَ ثم نَسَّمْ[1]

فقلتُ له: أَمِسْكٌ أم عَبيرٌ
لقد صيَّرْتَني بالحِبِّ مُغْرَمْ[2]

أجابَ الطِّينُ أَني كنتُ تُرْباً
صَحِبتُ الوَرْدَ صيَّرني مُكَرَّمْ

---

(١) الطين في الحمام: يريد به ما يُسمى عند أهل حلب: بَيْلون بوَرْد. الحِب: المحبوب. نسَّم: أعطى رائحة طيبة.

(٢) المُغْرَم: الشديد الحب.

أَلِفْتُ أكــابــراً وازدَدْت عِلْمــاً
كـذا مَنْ عـاشـرَ العلمـاءَ يُكْــرَمْ[1]

(١) الأبيات أصلها باللغة الفارسية، ونظمها باللغة العربية العلامة الكبير الشيخ بشير الغَزِّي الحلبي المولود ١٢٧٤ والمتوفَّى سنة ١٣٣٩ رحمه الله تعالى.



فهرس الموضوعات

١٧ / ٦ / ٤٢ / ٥٠